مقدمة:

مع تطور المجتمعات وتغير طبيعة الحياة الاجتماعية في نهاية القرن العشرين، برزت نظريات ما بعد الحداثة كرد فعل على النظريات التقليدية والحداثية في علم الاجتماع، مثل نظرية الوظيفة البنائية أو الصراع الطبقي. وقدمت هذه النظريات رؤى جديدة لفهم الجريمة والانحراف، لا باعتبارها مجرد خرق للقوانين، بل كنتائج ناتجة عن تفكك المعاني، وفقدان الهوية، وهيمنة الثقافة الاستهلاكية، وتضخم السلطة التقنية والإعلامية.

أولًا: السياق العام لنظرية ما بعد الحداثة

- ترفض ما بعد الحداثة فكرة وجود حقيقة اجتماعية واحدة.
- تركّز على النسبية، وتعدد المعاني، والتشظي الثقافي.
- تؤمن بأن الجريمة لا يمكن فهمها فقط من خلال الإحصاءات أو القوانين، بل يجب قراءتها ضمن سياق ثقافي وسيميائي (دلالي).

ثانيًا: خصائص الجريمة في عصر ما بعد الحداثة

1. جريمة بدون دافع واضح: الكثير من الجرائم الحديثة تُرتكب من دون أسباب اقتصادية تقليدية، بل أحيانًا بدافع الشهرة أو لفت الانتباه، كما في جرائم العنف العشوائي أو الجرائم التي تُبث مباشرة على الإنترنت.
2. ظهور أنماط جديدة من الجريمة:م ثل الجرائم الإلكترونية، الاحتيال الرقمي، انتهاك الخصوصية، القرصنة المعلوماتية، مما يعكس تغير طبيعة الفضاء العام وتحول المجتمع نحو الافتراضية.
3. الاستعراض والتشويق في الجريمة: يرى منظرون مثل جين بودريار (Jean Baudrillard) أن الجريمة أصبحت جزءًا من مشهد إعلامي، حيث تُقدَّم بوصفها عرضًا spectacle وليس فقط حدثًا اجتماعيًا، مما يفقدها معناها الواقعي.

ثالثًا: مساهمات أبرز منظري نظريات ما بعد الحداثة في تفسير الجريمة

1_ جان بودريار (Jean Baudrillard)

- يرى أن المجتمع ما بعد الحداثي يخلق "واقعًا زائفًا(Hyperreality) "، حيث تصبح الجريمة رمزًا ضمن ثقافة الصورة والإعلام، وتُستهلك كما تُستهلك السلع.

- الجريمة لم تعد "مشكلة اجتماعية"، بل مشهدًا ترفيهيًا يظهر في الأفلام والإعلانات، ويُعاد إنتاجه ثقافيًا.

2_ ميشيل فوكو (Michel Foucault)

- ربط فوكو بين الجريمة والانضباط والسلطة.
- يرى أن المؤسسات (المدارس، السجون، المستشفيات) لا تعاقب فقط، بل تنتج "المنحرف" كفئة اجتماعية.
- الانحراف ليس طبيعياً، بل بُني تاريخيًا عبر الخطاب والسيطرة.
- السلطة الحديثة تُمارَس عبر المراقبة والانضباط الذاتي، لا القمع المباشر، مما يجعل الجريمة أحيانًا رد فعل على السيطرة الخفية.

3_ زيجمونت باومان(Zygmunt Bauman)

- يتحدث عن "الحداثة السائلة"، حيث تنهار الهويات ويضعف الانتماء الاجتماعي.
- في هذا السياق، تصبح الجريمة تعبيرًا عن الاغتراب، القلق، وانعدام المعنى، وهي محاولة للفرد لصياغة هوية في عالم غير مستقر.

رابعًا: نقد نظريات ما بعد الحداثة في تفسير الجريمة

الإيجابيات:

- تقدم فهمًا عميقًا لدور الإعلام والثقافة والسلطة في تشكيل الجريمة.
- تفسر أنماط الجريمة الجديدة التي تعجز عنها النظريات التقليدية.

السلبيات:

- تُتهم بالغموض والتجريد وصعوبة التطبيق العملي.
- لا تقدم دائمًا حلولًا واضحة للحد من الجريمة.
- تركيزها على اللغة والمعنى قد يُغفل العوامل البنيوية مثل الفقر أو الطبقية.

خامسًا: إسقاطات واقعية

- الجرائم الإلكترونية :مثل الابتزاز الرقمي وتزييف الهويات، تُظهر كيف أن الفضاء الافتراضي أصبح ميدانًا للجريمة بعيدًا عن المراقبة التقليدية.
- جرائم العرض :(Spectacular Crimes) مثل تصوير الجريمة وبثها مباشرة على وسائل التواصل، حيث تصبح الجريمة وسيلة لـ"الظهور الإعلامي."
- الجريمة في الثقافة الشعبية :الأفلام والمسلسلات تُعيد إنتاج الجريمة كسلعة فنية، مما قد يُضعف الوعي بخطورتها الواقعية.